تاريخ الإرسال: 2011/09/07 - تاريخ النشر: 2011/11/28

دور الأوقاف في الحياة الاجتماعية في بلاد الأندلس

عبد القادر ربوح
قسم العلوم الإنسانية
جامعة زيان عاشور، الجلفة

لعبت الأوقاف دورا هاما في توفير الرعاية الاجتماعية للفقراء و اليتامى و المرضى و التخفيف من معاناتهم،وكذلك في تسيير سبل العيش والحياة الكريمة لأفراد الأسرة وتحقيق مبدأ التكافل الاجتماعي،الذي نادى به الإسلام، باعتباره من الصدقات الجارية ... ولذلك ارتبطت الأوقاف الإسلامية بالصدقات فأول وقف في الإسلام كان سبع حوائط أوصى بها مخيريق اليهودي للرسول يضعها حيث أراه الله فجعلها الرسول صدقة في سبيل الله،كما أن العلماء الفقهاء عرفوها بأنها الصدقات الموقوفات، ومن هنا يمكن القول إن لها دورا فعالا في المجتمع الأندلسي آنذاك، فاكتفت بما حددته الشريعة الإسلامية بهذا الخصوص من فرض زكاة على القادرين والحث على الصدقات، يبتغي من ورائها الواقف مرضاة الله وثوابه في الآخرة.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الحكومات الإسلامية في العصور الوسطى كانت لا تستطيع أن تلبي كل حاجات المجتمع من رعاية اجتماعية وثقافية وصحية، مما يبرز أهمية الأحباس في المجتمع الإسلامي ودورها في مواجهة الفقر والبؤس والجهل والمرض.[1]

فالأوقاف إذا هي من أعمال البر،فينعكس على المجتمع كله مثل بناء المدارس و المياتم، وإصلاح الجسور والطرقات، وبناء الفنادق والرباطات والمحابس ومنح البذر للفلاحين[2]، فكانت أوقاف الأسرة، واليتامى والمساكين وابن السبيل وغيرها .

1ـ أحباس الأسرة.

لقد كثرت الأحباس على الأسرة في الأندلس، فقد سئل رجل ابن رشد من مدينة

1 كمال السيد أبومصطفى ،دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية في الاندلس،مؤسسة شباب الجامعة،مصر ،1993 ص:203.

2 شوقي أبو خليل، الحضارة العربية الإسلامية، دار الفكر، سوريا، 2002م. ط.1، ص:141.

دانية[1] وهي في رجل حبس على ابنته وعقبها شرط إن ماتت في سنة وعقبها في حياته، أو ماتت في حياته ولا عقب لها فالحبس راجع إليه فأجاب رجوع الحبس إلى المحبس إن توفيت ابنته.[2]

كذلك يذكر حبس رجل من أهل غرناطة ضيعة على ولده[3]، أما البرزلي(ت883هـ/1478م) فيذكر أن رجلا قد حبس على ابنته دارا[4]، ويذكر الونشريسي أن ابن حسون قد سئل في رجل أوصى بثلثي متروكه من قليل الأشياء وكثيرها لبنيه الذكور ولمن يتزيد[5] (يتزايد) هكذا وردت، وقد جرى العمل على إدخال أولاد البنات في لفظ العقب.[6]

كما سئل بعض فقهاء قرطبة عن رجل تصدق عن ولده بأرض وشجرة من مال محبس عليه فإن مات الابن رجعت هذه الصدقة إلى أقرب الناس بالابن مطلقا غير محبس، وأن الابن توفي مخلفا أخا لأب وأخوين لأم، ولم يكن له عقب، فكيف يقسم ذلك بينهم؟ فأجاب: الأخ للابن أقرب للمتصدق عليه، وإليه ترجع الصدقة بالشرط الذي شرطه المتصدق.[7]

كما حبس الأمراء والخلفاء الأمويون في الأندلس على أفراد أسرهم، فقد حبس عبدالرحمان الأوسط(206هـ-238هـ/821م-852م) على ابنته من أم عبدالله فلانة وفلانة سنة222هـ/836م جميع أملاكه لقريته، وأشهد ذلك يحى بن يحى الليثي(ت234هـ/848م) ومحمد بن خالد(ت222هـ/836م) وعقدا حبس ذلك[8]، كما حبس المنصور بن أبي عامر على ابنته وعلى عقب عقبها من بعدها.[9]

وهكذا كانت أحباس الأسرة في الأندلس فتعددت كحبس الضياع والحدائق والأراضي لصالح الأولاد مع إدخال البنات في لفظ العقب، كذا تحبيس الأمراء والخلفاء.

1 دانية من أعمال بلنسة على ضفة البحر شرقا.

2 ابن رشد، الفتاوى، تقديم وتحقيق المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1984، ج.1، فتوى 5، ص:164.

3 نفس المصدر، فتوى 82، ص:345.

4 البرزلي، فتاوى البرزلي المعروفة بجامع مسائل الاحكام لما نزل من القضايا بالمفتيين والحكام، تقديم محمد الهيلة، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2002، ج.7، ص:351.

5 الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقيةو الأندلس والمغرب، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1981، ج.7، ص:21.

6 نفسه، ص:50.

7 نفسه، ص:50.

8 البرزلي، المصدر السابق، ج.7، ص:347.

. *La gardére Vincent,* ***Histoire et societe on occident musulmane au moyen-age (analyse du Mi'yar d'al-wincharisi,*** *collection de la casa de Velazquiez,N°53, Madrid, 1995,P268*

9 الونشريسي، المصدر السابق، ج.7، ص ص:413-412.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويرى المازوني (ت883هـ/1478م) أن أولاد الصلب لا يصح التحبيس عليهم مرض الموت لكن يمضي من ذلك من حمل الثلث ميراثا وكما يمضي الحبس.[1]

2ـ أحباس الفقراء واليتامى والمساكين.

والملاحظ أن ناظر الأحباس كان يتولى اختيار المساكين المستحقين ريع الوقف، وتحديد مقدار ما يستحقونه، وفقا للنظر اجتهاده وكما كان يقوم بتأجير بعض الأوقاف المحبسة على المساكين ويأخذ ثمن الكراء ويشترى به غالبا ثيابا توزع على المساكين لكسوتهم في الأعياد.[2]

كما أن الأحباس المجهولة الأصل يجوز صرف فوائدها في مختلف سبل الخير[3]، كما أن هناك من جعل لبن بقرته للمساكين[4]، كذلك حبست الطرقات على المسلمين[5]، وإذا خلا العقب رجع الحبس إلى الفقراء والمساكين.[6]

ويتضح من ذلك أن الأحباس شاركت في تقديم الكثير من الخدمات الاجتماعية، يشير ابن العطار إلى حبس بعض الأراضي الزراعية في بلده قرطبة، على المساكين والمرضى،ويضيف ابن السليم(ت367هـ/977م) أنه كان لا يعقد قبالة هذه الأراضي المحبسة أكثر من أربعة أعوام خوفا أن تندرس الأحباس بطول مكثها بيد مقبلها[7]... كما حبست أراضي زراعية وحبست غلاتها على المساكين كما في أرض بلش.[8]

فقد "سئل المواق عن رجل أوصى بفدان بأن يكون حبسا على المساكين بعد وفاته يؤخذ فائده كل عام ويشتري به خبزا ويفرق على الضعفاء والمساكين في شهر رمضان وأوصى أيضا بأن ما يفضل عن الفدان يلحق بالصدقة، ففضل من ثلثه على الفدان، أو يفرق على المساكين في رمضان وفي غيره حتى تنفذ، فأجاب: لا يفرق ما فضل على المساكين إلا أن يوجد ملك، وأما أن وجد بأنه يشتري ويكون ما يخص ما فضل من

---

1 المازوني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة (مخطوطة)،رصيد المكتبة الوطنية الجزائرية ،رقم 1336،، ص:121.

2 الونشريسي، المصدر السابق، ج.1، ص:396، و ج.10، ص:245.

3 نفسه، ص ص:91، 98.

4 نفسه، ص:105. ويشير الونشريسي أن التحبيس على فقراء الوقت باطل، المصدر نفسه، ص:118.

5 نفسه، ص:152،ص:191.

6 نفسه، ص:152،ص:191.

7 ابن العطار، الوثئق والسجلات ،نشرها شالميتا و كورنيطي،مدريد،1983، ص:182. الونشريسي، المصدر السابق،ج.7،ص:437. *La gardére, Op.cit,p:257.*

8 بلش: *Velez* شرق مالقا (سانتاماريا). عنان، الآثار الباقيةفي اسبانيا والبرتغال،ط2،مكتبة الخانجي ،القاهرة ،1997، ص:254.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

الكراء يفرق في رمضان".[1]

كما يلاحظ أن هناك الدور وقفت لسكنى الضعفاء بجامع قرطبة المنسوب حباستها الى نيرور[2]، كما حبست زوايا لسكن الغرباء والفقراء وحبس رجل من قمارش دنانيرا على المساكين.[3]

ويتضح من إحدى النوازل التي ذكرها الونشريسي(ت914هـ/1508م) أن بعض هذه الزوايا[4] لاسيما أواخر دولة الإسلام في الأندلس قد انحرفت عن موضعها الأصلي وتحولت إلى ساحات للعب والمعصية والخروج عن الدين[5]، كما قد حرص أهل الثراء على التحبيس على الفقراء فقد سئل ابن عتاب من المرية عن رجل حبس في وصية ضيعة له حبسا صدقة على ضعفاء أهله، يبدأ بأهل الحاجة منهم على ألصق القرابة فيعطي كل واحد منهم من ذلك قوته وكسوته ثم إلى الفقراء من بعدهم.[6]

ومما يلاحظ أيضا حبس ثمار على فقراء المساكين بقرطبة وعرفت الأرض المحبسة بأرض المساكين.[7]

— حبس الطواحين.

إن أصل الطواحين غير معروف على وجه التحقيق، إلا أن طاحونة الحبوب الأفقية هي الشائعة، وكانت توجد في مدينة شاطبة العديد منها[8]وكذلك قرطبة، فيذكر الإدريسي عند وصفه لقرطبة والقرى المحيطة بها ويتمثل سورها وما وراءه من الأرحاء الطاحنة (أي الطواحين)، بالماء على ما ينيف على مائة وثلاثين رحى، ألحقها الله الآمنة، ولا قطع عنها عادة الرحمة، بفضله وكرمه"[9]

ولهذا حرص الأندلسيون على حبس الرحى لفائدة اليتامى والمساكين وابن السبيل، مثل الطواحين الحبوس وهي ثلاثة طواحين موجودة بفحص الرحى قرب قرطبة محبوسة على ذلك[10]، كذلك حبس رجل من أهل الأندلس رحى له في فائدة ذلك على

---

1 الونشريسي، المصدر السابق، ج.7، ص ص:183ـ182. *La gardére, Op.cit, p:265.*

2 نفس المصدر ، ص:220.

3 نفسه، ص:152.

4 عن الزوايا في الأندلس، أنظر: رحلة ابن بطوطة، دار صادر، بيروت، 1964م. ص ص:30ـ29.

5 نفسه، ص:296.

6 الونشريسي، المصدر السابق، ج.7، ص ص:478ـ477. *La gardére, Op.cit, p:216.*

7 المازوني، مصدر سابق ، ص:117، 122.

٨*Glick,* ***Islamic and Christian sapain in the early middle age****, Princetone, University Press, P 232-233*

9 الونشريسي، المصدر السابق، ج.1، ص ص:133ـ132..

10*Glick, Op.cit, p:233.*

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

الفقراء واليتامى[1] حبسا مؤبدا.

3ـ الأحباس كوسيلة للتضامن الاجتماعي.

قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾.[2]

لقد صح أن هذه الآية، نزلت في حق أسرة من الأنصار رضوان الله عليهم، فقد روى البخاري بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:" أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول أصابني الجهد فأرسل إلى نسائه، فلم يجد عندهن شيئا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا رجل يضيفه الليلة يرحمه الله؟ فقام رجل من الأنصار، فقال: أنا يا رسول الله، فذهب لأهله فقال لامرأته: ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخريه شيئا، فقالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية، قال: فإذا أراد الصبية العشاء فنومهم وتعالي فاطفئي السراج ونطوي بطوننا الليلة ففعلت، ثم غدا الرجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: عجب الله عز وجل أو ضحك من فلانة وفلان، فأنزل الله عز وجل ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة".[3]

فالإيثار هو البذل والتخصيص لمن تؤثره على نفسك، والإيثار أغلب مراتب الكرم لأهل العزم الذين صقلتهم العقيدة والتعاليم الإسلامية، وتشرّب معانيها، وتندب إلى الخير حتى يسارعوا إلى العمل بمقتضاها.

روى البخاري بإسناده عن أنس بن مالك قال:" كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة نخلا وكان أحب أمواله إليه بيرحاء[4] وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، فلما نزلت الآية { لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ } [5]، قام أبو طلحة، فقال: يا رسول الله، إن الله يقول: لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون، وأن أحب أموالي إلي بيرحاء، وإنها صدقة لله، أرجو برها وذخرها من الله فضعها يا رسول حيث أراك الله، قال رسول الله: بخ بخ ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين قال أبو طلحة أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه"[6] وكانت توجيهات القرآن تحث على الصدقة، وخاصة الأحباس

1 الونشريسي، المعيار المعرب، ج.7، ص:461. ابن رشد، الفتاوى، ف311، ج.2، ص:1051.
2 سورة الحشر، الآية رقم:09.
3 رواه البخاري، فتح الباري، ج.3، ح4889، ص:631.
4 بيرحاء، حديقة تسمى النورية شمال سور المدينة معروفة عند أهل المدينة. انظر: ابن فرحون، إرشاد السالك إلى معرفة المناسك، دراسة وتحقيق محمد بن الهادي أبو الأجفان، بيت الحكمة، قرطاج، 1989م. ص:628.
5 سورة آل عمران، الآية رقم: 92.
6 البخاري، الصحيح، كتاب الوصايا، ج.4، ح19، ص:55. مسلم، صحيح مسلم، الزكاة، مجلد4،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

باعتبارها من الصدقات الجارية، فقد كان الأندلسيون يحرصون على الصدقة، فالصدقة دليل صحة الإيمان، وصدق اليقين، والصدقة برهان[1] وإن الصدقة لتطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء[2] ورغم أن المعلومات الخاصة بالزكاة قليلة، إلا أن ما يتعلق بالصدقة كثير، فالإحسان أو عمل الخير، يعبر عنه كتضامن اجتماعي، خصوصا في أوقات الشدة، وتبرز المصادر التاريخية أن الأمراء والخلفاء في الأندلس، قاموا بتوزيع الماء والطعام على الناس في أوقات المجاعة، وكذا في كل نهاية مناسبة دينية مثل شهر رمضان ويروي ابن حيان(ت469هـ/1076م) إحدى هذه الوقائع عندما أشرف المستنصر وابنه على عيد الذين كانوا يطوفون بين الناس حاملين أكياسا من المال لتوزيعه.[3]

وفي ذلك يذكر ابن حيان صاحب المقتبس أن المستنصر بادر بإخراج مال واسع الى صاحب الشرطة والسوق أحمد بن نصر يعينه ليفرقه على الضعفاء والمساكين[4]، وأنه في سنة 352هـ/963م كانت بقرطبة مجاعة، فتكفل الحكم بضعفائها ومساكينها بما تقيم أرماقهم أحرى عليهم نفقاته بكل ربض من أرباض قرطبة وبالزهراء[5]، وكانت هذه النفقات (الصدقات) مصداقا لقول رسول اللّه r " واجعل ثلثه في المساكين وابن السبيل".[6]

وليس من الغريب أن نجد في سير العلماء معلومات وإشارات لمنحهم الصدقات، لاسيما من أموال الأحباس للمعوزين في حين كانوا هم أنفسهم يعانون ظروفا عسيرة، وكان بعض هؤلاء أصحاب تفريق الصدقة، وهكذا يمكننا رؤية البعد المؤسسي للممارسة الدينية والورع المرتبط مباشرة بممارسة السلطة[7] كما أظهرت الدولة الموحدية اهتماما بالغا بالأعمال الاجتماعية لاسيما في خلافة المنصور الموحدي، ويظهر اهتمام الفقراء من الهبات التي كانت تعطى لهم ففي كل مناسبة كانوا يقرضون الأموال على الناس كافة لاسيما الضعفاء والغرباء، حتى بلغ ما يتصدق به الرجل في هذه المناسبات ثلاثين

ح998، ص:91.

1 اكرم ضياء العمري ،التربية الروحية والاجتماعية في الاسلام،ط1،دار اشبيلية ،الرياض، 1997، ص:258.

2 الترمذي، سنن الترمذي، كتاب الزكاة، مجلد 2، ح664، ص:146.

3 ابن حيان، المقتبس في أخبار رجال الأندلس،تحقيق عبد الرحمان حجي ،دار الثقافة ،بيروت ،1995، ص:92.

4 نفس المصدر، ص:77.

5 ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب،تحقيق ليفي بروفنسال وكولان ،دار الثقافة، بيروت،1983 ج.2، ص:236.

6 رواه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، ج2954، ص:341.

7 مانويل مارين، «ممارسات المسلمين الدينية في الأندلس(4-2هـ)،" ج.1، موسوعة الحضارة العربية في الأندلس،ص:1226.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

دينارا[1] كما أن من مظاهر الدولة الاهتمام بالأطفال اليتامى[2] ولهذا حضيت العامة برعاية الخلفاء والأمراء، فكان لهم نصيب من الصدقات والمساعدات للتخفيف عنهم من وطأة الضيق والعسر الذي كانوا يرضخون تحته في أوقات الأوبئة والغلاء وارتفاع الأسعار.

كما أن المتصوفة اهتموا بتوزيع الصدقات بين الفقراء والمعوزين في مختلف المناسبات باعتبارهم أكثر الناس معرفة بأحوال هذه الجماعات الضعيفة، وبتأمل حجم هذه المساعدات يتبين أنها غير كافية ولم تكن دائما تلبي حاجات الناس وبالتالي يلجأ بعض العوام الى بيع بعض أملاكهم بسعر زهيد مقابل لقمة عيشه[3]

4ـ أحباس المواسم الدينية.

من الطبيعي أن يكون للتدين والعناية بشعائر الدين أمر واضح، وسمة مميزة في بلد شغل بالحروب طويلا، واتقدت فيه روح الجهاد والمرابطة وقد كان لمجاورة المسلمين للنصارى في إسبانيا وأوربا أثر بالغ في ازدياد هذا الشعور.[4]

وكان الأندلسيون يحتفلون بالمولد النبوي بعد أن عرف الاحتفال به في المشرق، وخاصة في مصر زمن الفاطميين، ولعل ذلك يرجع الى تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم بمولده ودراسة سيرته الشريفة وإلى الشعور الديني القوي لديهم الذي أدى بهم الى التحدي لإثبات وجودهم في هذه البلاد القُصية التي تقع في أوربا المسيحية[5].

فقد حرص الأندلسيون والمغاربة رغم ذلك الى الاحتفال في العصور المتأخرة به في هذه العصور احتفالا كبيرا لإيقاض الشعور الديني بعد تساقط القواعد الإسلامية في الأندلس.[6]

كما يظهر أنهم كانوا يحتفلون كذلك بيوم عاشوراء بالصيام والتوسعة على

1 ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق عبدالهادي التازي، دار الأندلس، بيروت، 1964م. ص:421.

2 عز الدين عمر موسى، الموحدون في الغرب الإسلامي، تنظيماتهم ونظمهم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991م. ط.1، ص:293. إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي والأدبي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة، بيروت، 1998م. ط.1، ص:188.

3 المحمودي أحمد، «المظاهر الذهنية لعامة المغرب الأقصى"، أعمال ملتقى دولي، الجزائر، أفريل2001م. ص:122.

4 حسين يوسف، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، مطبعة الحسين الإسلامية، مصر، 1994م. ط.1، ص:134.

5 يقول القزويني: «ومن عجائب الدنيا المملكة الإسلامية بالأندلس مع إحاطة الفرنج لها من جميع الجوانب».

6 راجع: حسين يوسف دويدار، المرجع السابق ، ص:303، مؤنس، فجر الأندلس،العصر الحديث و دار المناهل للنشر و التوزيع،بيروت ، 2002م، ص:460. ابن حيان، مصدر سابق ، ص ص:185ـ184.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أنفسهم وأولادهم في هذا، فقد ذكر ابن حيان أن الفقيه عبد الملك بن حبيب (ت238هـ/852م) كتب إلى الأمير عبد الرحمان الأوسط (238-206هـ/852-821م) في يوم عاشوراء.

لا تنسى لا ينسك الرحمان عاشوراء واذكره لازالت في الأحياء مذكورا
قال الرسول صلاة الله تشمله قولا وجنا عليه الحق والنورا

فأرغب فديك فيما رغبنا خير الورى كلهم حيا ومقبورا[1]

كما كتب محمد بن شخيص قصيدة يهنئ فيها الحكم المستنصر بالعيد الأضحى جاء فيها:

ألم بنا الأضحى فقلت أهلا وإن كان مولانا بما قلته أول
تجلى أمين الله والعيد والضحى فكان أمين الله أفضلها مجلى
وإما ثلث منه الضحى غير وجهه فكانت له مثلا وليست له مثلا
ليهن بني الإسلام فخر استلامهم بنان يد العليا من الملك الأعلى [2]

كما جرت العادة أيضا في عهد بني نصر تهنئة الأمراء بالعيد، فها هو ابن الخطيب (ت776هـ/1374م) يهنئ الغني بالله في يوم عاشوراء.

يا أيها المولى الذي بركاته رفعت لواء للندي منشورا
لك راحة تزجى الغمائم بأنمل فجرت منها بالنوال بحورا
واليوم موسم قربة وعبادة وغدا أظفرت بأجره عاشوراء
راعيت فيه سنة نبوية يروي الثقاة حديثها المشهورا
لازلت عامك كله في غبطة لقيت منها نظرة و سرورا[3]

ومن هنا نستشف أن الخلفاء كانت لهم هبات وعطيات في هذا اليوم يوزعونها على الفقراء كما أن هناك من طبقة الخاصة في المجتمع الأندلسي يحرصون على الاهتمام بالحبس في مثل هذه المناسبات الدينية، وهذا ما ذكره الونشريسي بأن امرأة غرناطية قد تصدقت بموضع على ليلة المولد النبوي الشريف، يزرع ذلك الموضع، ويؤخذ قمحه ويعمل به في تلك الليلة المذكورة فيجتمع فقراء هذا الزمان ويذكرون الله عز وجل[7]. كذلك حبس رجل أصل توت على ليلة المولد[8] إلا أن فقراء غرناطة في عصر بني الأحمر استغلوا هذه المناسبات، بالغناء والشطح، ويقررون لعوام الناس أن ذلك من أعظم القربات وأنها طريقة أولياء الله، ويجيب الونشريسي على ذلك أي على مثل هذه التصرفات قال: لأن الغناء والشطح من باب اللهو وهم يضيفونه إلى أولياء الله، وهم يكذبون في ذلك عليهم

7 الونشريسي، المعيار المعرب، ج.7، ص:114.
8 نفسه، ص:99.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ليتوصلوا إلى أكل الناس بالباطل، فصار التحبيس عليهم ليقيموا بذلك طريقتهم تحبسا على مالا يجوز تعاطيه.[1]

وشكل عيد الفطر أيضا مناسبة لتبادل الزيارات بين الأصدقاء والأقارب وتقديم التحيات والتهاني مباشرة بعد صلاة العيد، فقد ورد على الفقهاء نازلة حول عادة الناس بعد انقضاء صلاة العيدين نحو تقبيل الرأس واليد والمنكب للمعانقة.[2]

إلى جانب الاحتفال بالأعياد الإسلامية والمواسم الفلاحية شارك أهل المغرب والأندلس إخوانهم المسيحيين في أعياد خاصة[3]كعيد يناير الذي يقام كل سنة جديدة، وتقدم فيه التهاني، وتصنع فيه أصناف كبرى من الحلوى تسمى المدائن، وهي على شكل مدن ذات أسوار أثارت إعجاب أحد الشعراء، فشبهها بالعروس، وذكر المواد التي تصنع منها، كما أن ابن عبدالملك قدم بدوره وصفا دقيقا عن كيفية صناعتها إلا أنها كانت تقدم في هذا العيد للأطفال إدخالا للسرور عليهم، وتوسيعا في الترفيه لأحوالهم، وتعبيرا بخصب عامهم وتفاؤلا لبسط الرزق فيه[4]. والمسلمون بفضل تسامحهم لم يجدوا غضاضة في استدعاء الأحباب والأصدقاء ولبس أجمل الثياب في هذا العيد المسيحي، والاحتفال والسهر فتملأ الموائد بأصناف الحلويات والفواكه المجففة مثل التين والبلوط[5]وغيره، بل أن الخليفة المنصور بن أبي عامر مثلا كان يسمح لأهل الذمة بممارسة شعائرهم الدينية في الكنائس وفي مناطق متعددة بالأندلس.[6]

ومن مظاهر الاحتفال بهذا العيد أيضا ما عرف لدى الأندلسيين بالتماثيل (النصاب) وهي عبارة عن موائد كبيرة يصنع عليها الباعة أشكالا هائلة من الحلوى والفواكه وقد بلغ ثمنها ما يربو عن 70 دينارا لما حوته من السكر وضروب التين والتمر والجوز والليمون والفانيد[7]وكانت هاته الاحتفالات وغيرها، تتم جنبا الى جنب سنين طويلة، وقد حفظ لها الونشريسي(ت914هـ/1508م) وثيقة تثبت احتفال اليهود بأعيادهم في مواسم معينة

1 نفسه، ص:101.

2 بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين،ط2،دار الطليعة ،بيروت ،1993، ص:89.
*من أهمها صباغة الحرير لجميع القرمز ويقيمون خيامهم في بطون الأودية والحقول للاحتفال بالعصير في فصل الخريف، كما يخرج بعضهم للنزهة والفرجة.

3 نفسه، ص:92. أحمد عبدالرزاق، الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، دار الفكر، بيروت، 1999. ط.3، ص236. أما الأعياد فمن بينها عيد المظلة يدوم 7 أيام وعيد الأسابيع يحتفل به بعد عيد الفطر، وعيد الحنكة يدوم 8 أيام عن الأعياد، راجع في ذلك: المقريزي، مصدر سبق ذكره، ص:493. مسعود كواتي، اليهود في المغرب الإسلامي، دار هومة، الجزائر، 2000م. ص ص:138ـ136.

4 بوتشيش، المغرب والأندلس، ص:93

5 نفسه، نفس الصفحة.

٦ *Danrafael Altamira, histoire d'Espagne, librairie Armand colin Paris,1931,p:97*

7 الفانيد: أنواع من الحلوى يتناولها الأطفال وحتى الكبار.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والوثيقة عبارة عن فتوى قدمت للقاضي أبي عبدالله بن الأزرق(836هـ/1491)[1] مفادها أن اليهود يصنعون رغائف في عيدهم يدعى عيد الفطر[2]ويهدونها لبعض جيرانهم المسلمين، فهل يجوز قبولها منهم أم لا؟ وأجاب ابن الأزرق بالرفض والإنكار، وكانت هذه الرغائف مصنوعة من الفانيد -سبقت الإشارة إليه- وكانت تباع بثمن باهض لما تحويه من مواد كالسكر والتين واللوز، ...

وقد آشار الطرطوشي(ت520هـ/1126م) أن الأندلسين في مدة هذه الاحتفالات يبتاعون الفواكه والحلوى من المجبنات والإسفنج كالعجم واعتبرها من البدع.[3]

أما التقاليد الجنائزية إذ كان البعض يعين المكان الذي يرغب أن يدفن فيه، وكانت تحيط به النساء بالميت يندبنه ويبكينه ويصحن بأهازيج خاصة، لذلك طالب السقطي(6هـ/12م) بمنعهن من ذلك.[4] وعندما تخرج الجنازة يكثر الإنشاد والدعاء ورفع الأصوات وقد اعتبر الطرطوشي هذا بدعة[5]كما اعتبر ابن الحاج(ت737هـ/1336م) زيارة القبور مفسدة ألقاها الشيطان في هذه القبور، "فلعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج".[6]

كما حرص الأندلسيون على حبس أراضيهم على المقابر، وورد في النازلة التي رفعت الى الحفار عن حبس قطعة أرض مدة خمسين عاما[7]، كما حبس رجل من كورة غليرة (أعمال قرطبة) أرضا لدفن موتى المسلمين[8]، كذلك حبس رجل أرضا له لدفن موتى المسلمين من أهل غرناطة[9]كما حبست أراضي على من يقرأ القرآن على قبور أصحابها منذ زمان ينتفع القارئ بفائدة ذلك الحبس[10]، وقد أجاز فقهاء الحقبة المرابطية أن القراءة

١ محمد بن الأزرق ولد بمالقة يعتبر من علماء الاجتماع السياسي، فهو الذي أوصل المدرسة الأشعرية الى مرحلة النضج ويظهر أن ابن الأزرق أنه أحد الخبراء بالسياسة العارفين بأحوالها ، وقد عايش الحرب الأهلية التي عرفتها دولة بني نصر في غرناطة ، وقد كان يستنهض همم حكام المسلمين من أجل الوقوف أمام سقوط جوهرة الأندلس غرناطة، يعتبر من الشخصيات المغمورة عند الباحثين أهم آثاره: الإبريز المسبوك في كيفية أدب وسير الملوك، مخطوطة بالحامة رقم: 1375، (ت856هـ/1491م).راجع ترجمته: محمد الأمين بلغيث، النظرية السياسية عند المرادي وأثرها في المغرب والأندلس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م. ص ص:-68 69. كما كتبت عنه الباحثة *A.Rochel* دراسة ممتازة.

2 الونشريسي، المعيار المعرب، ج.11، ص:111.

3 أبو بكر الطرطوشي، الحوادث والبدع، ترجمة: محمد طالبي، تونس، 1959. ص:141.

4 السقطي، في أداب الحسبة ،تحقيق ليفي بروفنسال و كولان ،باريس ، 1931، ص:68.

5 الطرطوشي، المصدر السابق، ص:142.

6 ابن الحاج، المدخل، مجلد1، ج.4، دار الفكر، بيروت، (د.ت). ص:251.

7 الونشريسي، مصدر سابق، ج.7، ص:150.

8 ابن رشد، مصدر سابق، ف499، ج.2، ص:1390

9 الونشريسي، المصدر السابق، ج.7، ص ص:149-139. البرزلي، مصدر سابق ، ص:402.

١٠ *La gardére, Op.cit, p:290.*

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

على القبور جائزة لكن ابن عبدون اشترط أن يكون القارئ على الموتى شابا ولا عزبا.[1]

5ـ الأحباس ومياه الشرب.

الحقيقة إن مبدأ هذه المؤسسة الاجتماعية ينبثق عن روح الإسلام الذي هو دين اجتماعي كما يندرج في عداد السنة النبوية الشريفة، والوقف بما يتميز به من استمرار ودوام ضرب من أضرب الأمن الاجتماعي واستمراره ومراعاة المصلحة الجماعية.[2]

فعلى هذا الأساس فللوقف دور في مجال السقاية وامتداده لسيرة الخلفاء الراشدين الذين عكفوا على حبس موارد المياه في السبيل من خلال ما تصدق به الخليفة عثمان بن عفان –رضي اللّه عنه لبئر رومه[3] سلطان كلها على المسلمين.

لذا اهتم الأندلسيون بحبس صهاريج للشرب، بشرط أن لا يتطهر بماء الصهريج فإن وقفت للشرب لم يتوضأ بمائها، وإن وقفت للانتفاع جاز الوضوء وغيره، وإن شك في ذلك جاز استعمال العذر المتيقن، وينبغي أن يتجنب الوضوء منه للشك.[4] كما وجدت ببلاد الأندلس الحوانيت المحبسة على خابية[5] في السوق فذكر الونشريسي(ت914هـ/1508م): "أنه سُئل أن رجلا حبس حانوتا على خابية في السوق للشراب، فقال: يسكن الحانوت، وينتقل الماء للخابية من غيره أن يعين كراء للحانوت ومن غير أن يعين ثم ينتقل من الماء للخابية، فأجاب: أن الرجل إن كان يسكن الحانوت على أن يكفي مؤنة الخابية، ويقوم بجميع عملها فذلك جائز"[6] هكذا أفتى فقهاء الأندلس.

كذلك بنيت مواجل للمياه[7] للسبيل، وحبسه عليها مساقي الأرض[8] وقد أشار (*Vincent la gardére*) عن مواجل المياه على الحصون والقصور[9] فقد قام الناصر سنة 329هـ/950م) بإجراء الماء العذب من جبل قرطبة إلى قصر الناعورة. كما أمر الخليفة

1 ابن عبدون، مصدر سابق ، ص:27.
2 محمد إسلام، "نظرية الوقف"، (المعرفة)، العدد01، الجزائر، 1963م. ص:15.
3 بئر رومة: بئر قديمة في الجاهلية، تصدق بها عثمان بن عفان كلها على المسلمين. ابن فرحون، إرشاد السالك إلى معرفة المناسك، ص:629.
4 الونشريسي، المصدر السابق، ج.7، ص:99.
5 الخابية: وعاء فخاري كبير لحفظ الماء، وكان يوضع داخل الدار أو الأسواق، وكل أماكن التجمع ليشرب الناس منه الونشريسي،المصدر السابق، ج.7، ص:205.
6 نفس المصدر، ج.7، ص ص: 185ـ184.
7 المواجل: خزان مياه مكشوف أو بركة مستديرة، يجتمع فيه ماء المطر و يخزن لاستغلاله. ابن الرامي، الأعلان بأحكام البنيان،قراءة وشرح عبد الستار عثمان،دار المعرفة الحامعية،مصر ، 1988،ص:212.
8 الونشريسي، المصدر السابق، ج.7، ص:235. البرزلي، مصدر سابق ، ص:407.
9 *La gardére, Op.cit, pp:213-290.*

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الموحدي المنصور بأن تجدد السقاية من مال بيت المسلمين لقضاء حوائج الناس.[1]

6ـ الأحباس والرعاية الصحية.

لعبت الأوقاف دورا هاما في مجال الرعاية الصحية، وقد اشتهرت المشافي في بلاد الأندلس "وخارج المدينة تقوم المشافي للمرضى الذين يستعصي علاجهم، أو يبطئ ، أو مصابين بأمراض معدية في حي قائم بنفسه يطلق عليه اسم (ربض المرضى)، وتقوم عليه جماعات متطوعة إشرافا واتفاقا مما تتلقاه من أهل الخير أو مما يوقف عليها من مال أو أرض أو عقار.[2]

والواقع أن رواتب الأطباء والممرضين كانت تدفع من الريع المخصص لها، وكان القيمون يسجلون عليها في سجلات خاصة تقيد فيها المصروفات جميعا في ترتيب رائع، فهي تنبئنا عن قيمة رواتب الأطباء وأثمان العقاقير والآلات[3]أما الإشراف على الطلبة، فكانت البيمارستانات[4] بمثابة مدارس عالية للطب يتعلمون كل ما قرأوه عن أبي قراط بطليموس[5]، كذلك حبست بعض الأحباس على مرضى الجذام وحرص الواقفون على دفع الصدقات على هؤلاء المرضى حتى يتمكنوا من مساعدتهم[6]، وقد أورد الونشريسي(914هـ/1508م) أن رجلا من أهل غرناطة حبس غلة جنان على الجذمى[7]، وقال في نص المحبس وذلك لم يلحق أبدا من عقب المحبس أو عقب عقبه.[8]

وبتأمل أثمان العلاقات الطبية والصيدلانية وارتباط خدمات الأطباء وخبرتهم بمصالح علية القوم، لأنفسهم بسبب تخلي العامة عن زيارة الأطباء[9]والاستشفاء بالأدوية

1 القاسم جاسم بن محمد ،تاريخ الحضارة الاسلامية في الأندلس،ط1، مؤسسة شباب الجامعة ،مصر،2000،ص : 79.

2 الطاهر أحمد مكي، دراسات عن ابن حزم، دار المعارف، القاهرة، 1993م. 64، ص:32. أحمد مختار العبادي، في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دار المعرفة، مصر، (د.ت). ص:128.

3 زيغرند هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، منشورات المكتب التجاري، بيروت، 1969م. ط2، ص:233.

4البيمارستانات: لفظة فارسية (بيمار: مريض، ستان: مكان)، أول من أقامه الوليد بن عبدالملك بدمشق وأعطى للمجذومين، وهو أول من أجرى على العميان والمجذومين الأرزاق، كذلك بيمارستان المنصور قلاوون و بيمارستان صلاح الدين الأيوبي بالقاهرة. انظر: محمدابن عبدالعزيز، الوقف في الفكر الاسلامي،وزارة الأوقاف و الشؤون الاسلامية ،المغرب ،1996، ج.1،ص:366.

5 هونكه، المرجع السابق، ص:234.

6 الونشريسي، المعيار المعرب، ج.9، ص:173.

7يلاحظ أن لبعض نواحي إفريقيا يسمى موضع الأحباس خاصة بمرض الجذام حتى لا يظروا الناس. المصدر نفسه،ص ص:39ـ38.

8 المصدر نفسه، ج.7، ص:186. المازوني، مصدر سابق ، ص:114.

9 عز الدين عمر موسى، مرجع سابق ، ص:293.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الصيدلانية، وإن كنا لا نعدم وجود إشارات تؤكد توسيع الخدمات الصحية لتشمل عموم الناس لاسيما في فترة ازدهار الدولة، ولا أدل على ذلك من تخصيص جزء من عائدات بيت المال للمارستان الذي شيده الخليفة يعقوب المنصور مارستان دار الفرج وأجزى له العطايا ثلاثون دينارا كل يوم برسم الطعام خارجا عما تكفله من أدوية وصيادلة وأطباء، وذلك لجعل الخدمات الطبية في متناول العامة، وتمكين المرضى والمساكين من التطبيب بالمجان ومساعدتهم للاندماج والعيش وسط المجتمع.[1] والظاهر أن الأوبئة والأمراض والجوائح والكوارث قد انتشرت بشكل جلي في العصر المرابطي غير " أننا لا نعلم النصوص المخطوطة والمنشورة التي تفرد أبوابا كاملة للأكرية والمساقاة والجائحة والشركات، والرحى وقوانين المياه في الأندلس في عصر المرابطين."[2]

كما أن:" نجاح أي مشروع دعوي أو سياسي لا يتأتى إلا بتحقيق العدالة الإجتماعية والتنفيس عن الفئات المكروبة نتيجة الكوارث التي تصيب هذه الطبقات الدنيا من المجتمع، وإذا تمعنا الأمر نجد أن العصر المرابطي قد عرف الأزمات والمجاعات والأوبئة والكوارث والمحن وغلاء المواد الغذائية؛ وانتشار الجراد والأوبئة؛ وهو ما حدثتنا عنه كتب الفتاوى والنوازل المعاصرة للمرابطين كنوازل ابن رشد الجد (ت520هـ/1126م)، وابن الحاج الشهيد(ت529هـ/1135م)، ونوازل ابن سهل وأحكام الشعبي المالقي، وهي النوازل التي أرخت بصورة تلقائية من خلال معالجتها لظروف الناس ومشكلات عصرهم في جميع مظاهر حياتهم وأخلاقهم كما لم تعدم هذه النصوص الخطية معالجة قضايا الفلاحة ووضعية المزارعين، كما لم تهمل كذلك ظروفهم الاجتماعية من غذاء ولباس وأمراض وطواعين تصيب أهل الريف خاصة، كما لم تهمل ظاهرة العدوى قبل أن تكشف الجراثيم وهو ما أشار إليه ابن الخطيب إشارات دالة على وضع صحي متقدم" [3].وتجدر الإشارة أن الأراضي الزراعية تعرضت للكثير من الكوارث والمسَغبات وتأثرت الرعية في العدوتين المغربية والأندلسية لكثير منها في عصر المرابطي والظاهر أن الأمراض والأوبئة انتشرت بشكل واسع في العصر الموحدي في العدوتين حيث وجدت أرض خصبة تمثلت في المجاعات والحصارات علاوة على الفتن والحروب والتي أضعفت مقاومة الأشخاص لهاته الأمراض.

ولعل من بين الأمراض والأوبئة الشائعة تطالعنا كتب النوازل والمصادر التاريخية مرض العيون ومرض الجذام الذي يعد مرضا معديا، حيث ربط المنصور الموحدي جاريا للجذماء والعميان.[4]

وبالتالي حذى بالموحدين بعزل المصابين في حارات خاصة أو في بعض الكهوف

1 المحمودي أحمد، مرجع سابق ، ص:120.
2 بلغيث، الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين ،(أطروحة دكتوراه غير منشورة)،اشراف عبد الحميد حاجيات ،قسم التاريخ ،جامعة الجزائر ،2003، ص:540.
3 نفس المرجع، ص:541.
4 ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص:143.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمغاور وعموما فمرض الجذام كان يهم المجتمع بأسره، فقد خلق عدة مشاكل[1]، وكان بديهيا أن لا تقوى الشرائح الاجتماعية المتدينة على مواجهة الظروف الصعبة ومقاومة الأمراض و الأوبئة فكانوا يعانون من قلة المؤن وانتقاص الغذاء، ويبدو أن العامة قد حضيت برعاية الأمراء والخلفاء الأندلسيون،[2]فقد كان أبو يعقوب المنصور بالله بن يوسف فكان من أجل ملوك الموحدين،ذا رأي وحزم بين محب للعلماء مشاركا في العلوم وبنى المساجد وأجرى عليه الأرزاق،كما بنى البيمارستان للمرضى وأجرى له أيضا الأرزاق[3] ،ومما يؤكد اهتمام القادة الأندلسيون لاسيما عصر بني الأحمر بالمرضى ما جاء على لسان الوزير ابن الخطيب(ت776هـ/1384م)، حيث قال الوزير في كلامه عن أمير المسلمين محمد بن إسماعيل بن حزم[4]، الذي تولى الحكم بعد وفاة أبيه 755هـ/1354م: "ومن مواقف الصدقة والإحسان من خارق جهاد النفس بناء البيمارستان الأعظم حسنة هذه التخوم القصوى ومزية المدنية الفضلى،لم يهتد إليه غيره من الفتح الأول مع تقرير الضرورة وظهور الحاجة، فأغرى به همة الدين و نفس التقوى".[5]

ونقل ليفى بروفنسال[6]نص ذكرى بناء السلطان محمد الخامس (الغني بالله) للبيمارستان سنة 767 ـ 768هـ/1366ـ1365م، وهو لوح من الرخام على شكل الباب مقنطر مركب من قطعتين التصاقا محفوظا، وعلى أحد أوجه هذا اللوح كتابة في غاية الحفظ تملأ هذا الوجه خاصا بمرضى غرناطة جاء فيه: "الحمد لله أمر ببناء هذا المارستان رحمة واسعة لضعفاء مرضى المسلمين وقربة نافعة إن شاء الله رب العالمين،وخلد سنة حسنة ناطقة باللسان المبين، وأجرى صدقة على مر الأعوام وتوالي السنين الى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين المولى الإمام السلطان الهمام الكبير الشهير الطاهر الظاهر أسعد قومه دولة وأمضاهم في سبيل الله صاحب الفتوح و الصنع الممنوح والصدر المشروح،المؤيد بالملائكة و الروح، ناصر السنة كهف الملة أمير المسلمين الغني بالله أبو عبد الله محمد

1 في هذا الصدد يقول البرزلي: "يمنع المجذومين من مخالطة الناس، والإستقساء والورود إلى الماء للوضوء، ويؤمرون بأن يجعل من يُستسقي لهم في آنية. البرزلي، مصدر سابق ، ج.4، ص:178. الونشريسي، المصدر السابق، ج.11، ص:302.

2 المحمودي أحمد، مرجع سابق، ص:121.

3 ابن أبي الدينار، المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، المكتبة العتيقة، تونس، 1967م. ط.2، ص:119.

4 هو محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج، أمير المسلمين بعد أبيه وأبيه كان جزلا في العطية، بعيدا عن القسوة والغلظة مائل إلى الخير بفضل السجية. انظر: لسان الدين بن الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1980م. ط.3، ص:113.

5 أحمد عيسى بك، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، دار التراث العربي، بيروت، 1981م. ط.2، ص:228.

Provençal, inscriptions arabes d'Espagne, Paris, 1931, p:164.

6 أحمد عيسى بك، المرجع السابق، ص ص:290ـ289.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بن المولى الكبير الشهير بالسلطان الجليل الرفيع أبي الحجاج بن المولى السلطان الجليل المعظم هازم المشركين وقامع الكفرة المعتدين الشهيد الوليد بن نصر الأنصاري أنجح الله في مرضاته أعماله وبلغة من فضله العميم وثوابه الجسيم آماله،واخترع به حسنة لم يسبق إليها من لدن الإسلام هذه البلاد ، واختص بها طراز فخر على عاتق حلة الجهاد،وقد أراد وجه الله باستفاء الأجر، والله ذو الفضل العظيم،وقدم نزرا يسعى بين يديه ومن خلفه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم،فكانت ابتداء بنائه في العشر الوسط من شهر المحرم 767هـ/1365م،وثم ما قصد إليه ووقف الأوقاف عليه في العشر أوسط من شوال 768هـ/1366م والله لا يضيع أجر المحسنين،وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وآله وأصحابه أجمعين".

ومن خلال تطرقنا إلى الدور الاقتصادي والاجتماعي للأحباس في الأندلس يتبين أن الوقف يقصد به عادة الأراضي التي يخصصها المسلمون لأغراض دينية فيكون واردها للفقراء واليتامى والمحتاجين وابن السبيل، أو لبناء المساجد والحصون وغير ذلك من المنافع، وقد أصبحت الأرض الزراعية محل الصراع العسكري لاسيما خلال العصر المرابطي الذي ارتهنت فيه الأحوال بالقدرة على إعداد الجيوش وكما أن اقتصادها أصبح يعتمد على المصادرات ومصادر دخل أخرى، كما أن نمط الملكية قد استحوذ عليه أمراء البيت اللمتوني ووجهائه وقد آلت الملكية بعد ذلك إلى الموحدين وزادت مصادراتهم.

وقد أصبحت الأحباس من مصادر بيت المال في الأندلس بل أن الأمويون أنفسهم وضعوا أساسا لبيت المال من الأحباس، وقد استمر هذا النظام إلى غاية المرابطين وشكلت المصادرات مصدرا هاما من مصادر الدخل منها أحباس أهل الذمة، وأصبحت الأحباس من دعائم الثقة المالية والاستثمار فأصبحت بذلك عاملا اقتصاديا له أثره في حركة الأسواق، فاعتبرت الوثيقة الوقفية في الأندلس من النظم الأساسية في المعاملات العقارية فاهتم الأندلسيون بتوثيق الوقف وأصبحت أسر أندلسية تشتهر بالتوثيق كبني الجد في إشبيلية، وعلى الرغم من تعدد محتوى الوثيقة الوقفية الأندلسية أنها ساهمت في إعطاء وضع قانوني للأحداث وأمدتنا بمعطيات غنية حول الاستثمارات الزراعية وكيفية تأجير الأراضي المحبسة وحددت لنا مصادر السقي الأندلسية.

أما عن الدور الاجتماعي للأحباس فقد لعبت دورا في توفير الرعاية الاجتماعية للفقراء ووسيلة للتضامن الاجتماعي، وقد تنوعت فمنها أحباس الأسرة التي ميزت بلاد الأندلس، كذلك أحباس المواسم الدينية كحبس على المولد النبوي والمواسم الفلاحية ومشاركة المسلمين أعياد أهل الذمة، كم اهتم الأندلسيون بحبس صهاريج المياه بشرط أن التطهر بمائه فإن وقف للشرب لم يتوظأ بمائه، وإن وقف الانتفاع جاز.

كما لعبت الأحباس دورا هاما في الرعاية الصحية حيث اشتهرت المشافي المحبسة وأن رواتب الأطباء والممرضين كانت تدفع من مال الأحباس، وممن اشتهر من ملوك الأندلس الغني بالله الذي بنى البيمارستان سنة767هـ768هـ/1366ـ1365، وقد أوقف عليه الأوقاف الجزيلة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قائمة المصادر والمراجع

أولا: الوثائق والنوازل.

أ- المخطوطة:

1- المازوني (يحى بن أبي عمر بن موسى بن عيسى المازوني ت883هـ/1478م)، الدرر المكنونة في نوازل مازونة رصيد المكتبة الوطنية الجزائرية الحامة، مخطوط رقم1336.

ب- المطبوعة:

1- البرزلي (أبو القاسم بن أحمد بن محمد المعتل البلوي ت883هـ/1478م)، الفتاوى المعروفة بجامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتيين والحكام، ج.7، تقديم: محمد الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002م.

2- ابن الرامي (محمد بن إبراهيم اللخمي ت734هـ/1332م)، الإعلان بأحكام البنيان، قراءة وشرح عبدالستار عثمان، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1988م.

3- ابن رشد الجد (أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الفقيه ت11ذي القعدة 520هـ/1126م)، الفتاوى، تقديم وتحقيق: المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م. ط.1.

4- ابن العطار (محمد بن أحمد بن عبدالله القرطبي ت399هـ/1005م)، الوثائق والسجلات، نشرها: شالميتا وكورنيطي، مدريد: 1983م.

5- الونشريسي (أبو العباس أحمد بن يحى ت914هـ/1508م)، المعيار المعرب والجامع المعرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تحق: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م.

ثانيا: المصادر العربية وكتب الحسبة.

أ- المصادر العربية:

1- ابن أبي الدينار (أبو عبدالله محمد بن أبي دينار القيرواني)، المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، تحق: محمد تمام، المكتبة العتيقة، تونس، 1967م.ط.2.

2- الباجي(أبومروان عبدالملك بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم ت594هـ/1197م)، المعروف بابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تحق: عبدالهادي التازي دار الأندلس، بيروت، 1964م.

3- البخاري (أبو عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي ت256هـ/856م)، صحيح البخاري، مجلد4، المكتبة الثقافية، بيروت، (د.ت).

4- ابن بطوطة (أبو عبدالله بن إبراهيم اللواتي الطنجي (ت779هـ/1377م)، رحلة ابن بطوطة، المعروفة بتحفة الانظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار صادر،

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

بيروت، 1964م.
5- الترمذي (أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة ت279هـ/881م)، سنن الترمذي، مجلد2 و4، دار الفكر، لبنان، 1994م.
6- ابن حيان (أبو مروان حيان بن خلف بن حيان ت469هـ/1076م)، المقتبس في أخبار رجال الأندلستحق: عبدالرحمان حجي، دار الثقافة، بيروت، 1995م.
7- ابن الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1980م. ط.3.
8- الطرطوشي، الحوادث والبدع، ترجمة: محمد طالبي، تونس، 1959م.
9- ابن فرحون، إرشاد السالك إلى معرفة المناسك، دراسة وتحقيق محمد بن الهادي أبو الأجفان، بيت الحكمة، قرطاج، 1989م.
10- المراكشي (أبو عبدالله محمد بن عذارى المراكشي كان حيا سنة712هـ/1312م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج.3، تحقيق ليفي بروفنسال، ج، س كولان، دار الثقافة، ، بيروت، 1983م.
11- مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، مجلد4 و6و9، حققه وفهرسه حازم محمد، عماد عامر، عصام الصبابطي، دار الحديث، القاهرة، 1994م.
12- المقري (أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني ت1041هـ/1631م)، أزهار الرياض في أخبار عياض، ج.2، اللجنة المشتركة للتراث الإسلامي، المغرب والإمارات، (د.ت).
13- المقريزي (تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقريزي ت845هـ/1451م)، المواعظ والاعتبار، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ت).

ب- كتب الحسبة:

01- ابن عبدون الإشبيلي(ق 5هـ/11م)، رسالة في القضاء والحسبة، نشرها ليفي بروفنسال، منشورات المعهد الثقافي الفرنسي ،دت.

ثالثا: المراجع العربية.

01- أحمد، عبدالرزاق، الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، دار الفكر، بيروت، 1999م. ط.3.
02- بلغيث، محمد الأمين، النظرية السياسية عند المرادي وأثرها في المغرب والأندلس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م.
03- بوتشيش، إبراهيم القادري، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، المجتمع، الذهنيات، الأولياء، دار الطليعة، ، بيروت، 1993م.ط.2.
04- بوتشيش، إبراهيم القادري، مباحث في التاريخ الاجتماعي والأدبي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين دار الطليعة، بيروت، 1998م. ط.1.،
05- أبو خليل، شوقي، الحضارة العربية الإسلامية، دار الفكر، سوريا، 2002م. ط.1.
06- دويدار، حسين يوسف، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، مطبعة الحسين الإسلامية، مصر، 1994م. ط.1.
07- ابن عبد العزيز، محمد، الوقف في الفكر الإسلامي، ج.1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1996م.
08- العمري، أكرم ضياء ، التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، دار اشبيلية،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الرياض، 1997م. ط.1.
09- كواتي، مسعود، اليهود في المغرب الإسلامي، دار هومة، الجزائر، 2000م.

10- ابن محمد، القاسم جاسم، تاريخ الحضارة الإسلامية في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 2000م.
11- أبو مصطفى، كمال السيد، بحوث في تاريخ وحضارة الأندلس الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 1993م.
12- موسى، عز الدين عمر، الموحدون في الغرب الإسلامي، تنظيماتهم ونظمهم، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1991م. ط.1.
13- مؤنس، حسين، فجر الأندلس، العصر الحديث ودار المناهل للنشر والتوزيع، بيروت، 2002م.

رابعا: المراجـــع المعرّبـــــة.

01- هونكه، زيغرند، شمس العرب تسطع على الغرب، تر: فاروق بيضون وكمال دسوقي، منشورات المكتب التجاري، بيروت، 1969م. ط.2.

خامسا: المقـــالات العربيـــــة.

01- إسلام، محمد ، "نظرية الوقف"، (المعرفة)، العدد 01، الجزائر، 1963م.

02 -المحمودي، أحمد، "المظاهر الذهنية لعامة المغرب الأقصى"، (أعمال ملتقى دولي)، قسنطينة/الجزائر (23-24 أفريل2000م.

سادسا: المقـــالات المعربـــــة.

01- مارين، مانويل ، "ممارسات المسلمين الدينية في الأندلس(2-4هـ)،" ج.2، تر: يعقوب دواني، موسوعة الحضارة العربية في الأندلس، إشراف سلمى الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999م.

سابعا: الرسائل والأطروحات.

01- بلغيث، محمد الأمين، الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين، (جزءان)، (أطروحة دكتوراه دولة غير منشورة)، إشراف الأستاذ الدكتور عبدالحميد حاجيات، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2003/2004م.

ثامنا: الكتب الأجنبية والمقالات.

- الكتب الأجنبية:

01- *Glick.F,(Thomas),* ***islamic and christian Spain in the early middle ages:*** *comparative perspective on social and cultural formation, princeton, nj: Princeton, university press,1979.*

02- *Lagardére (Vincent),* ***Histoire et société en occident Musulman***

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

au Moyen âge **,** ***(Analyse du Mi'yar d'al- Winsharisi,collection de la casa de Velazquez)****, N°53, Madrid,1995.*

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com